صفحات من تاريخ الاستشراق

- ٣ -

بداية الاستشراق في ألمانيا :

العامل الأول في نشأة الاستشراق بألمانيا إنما هو الدافع الديني . ذلك ان الحركة البروتستانتية كانت تلح على ضرورة الرجوع إلى التوراة ودراسة نصوص الكتب المقدسة في لغتها الأصلية حتى يتسنى فهمها على حقيقتها ؛ فكان لا بد أولاً من دراسة العبرية والسريانيـــة ، ثم كان ينبغي ثانياً الاستعانة بالعربية .

فقد لاحظ اليهود في العهد الإسلامي القرابة بين اللغتين العربية والعبرية ، وقاموا يقلدون كتب النحو العربية في تحليل لغتهم وضبط قواعدها . وظل المسيحيون الأوربيون يعتمدون في دراسة قواعد اللغة العبرية على كتاب الحاخام (داود القمحي) الذي مات سنة ١٢٣٥ والذي اقتبس أكثر مصطلحاته وشواهده من المصادر العربية . وما زال علماء اللاهوت عند دراسة التوراة يستعينون باللغة العربية لتفسير كثير من الكلمات والعبارات والصيغ العبرانية الغريبة .

وكان يقوم بتدريس اللغات الشرقية في (هايدلبرغ) منذ سنة (١٥٦٠) الأستاذ (تريمليوس Tremelius) وهو في الأصل يهودي من ايطاليا اعتنق الكاثوليكية ثم أصبح بروتستانتياً . وقد أصدر في سنة (١٥٦٩) كتاباً في (قواعد اللغة الكلدانية والسريانية) ، كما نشر من مجموعة المخطوطات التي اشتراها أمير البلاد من (بوستل) الترجمة السريانية للإنجيل مع ترجمة

لاتينية حرفية . وكان تلميـــذه وصهره وخليفته في كرسي الأستاذية (فريدريك يونيوس F. Yunius) قد تعلم اللغة العربية فنقل ترجمة الإنجيل العربية إلى اللاتينية . وبين تلاميذ (يونيوس) برز (يعقوب كريستمان Y. Christmann) [١٥٥٤ – ١٦١٣] الذي استفاد من اللغة العربية في دراسة الطب والعلوم الطبيعية . كذلك برز عالم لاهوتي اسمه (شباي Spey) دعا إلى تأسيس مطبعة عربية ، وإلى طبع الترجمة العربية للإنجيل وإرسال نسخها إلى الشرق « ليقتبس أهل الديانة الصحيحة والنور الحقيقي » . ولكن لم يرض أحـــد من الأمراء الألمان بدفع المال اللازم لذلك فأخفق مشروعه التبشيري .

بداية الاستشراق في هولندة :

وأما في هولندة فكانت الظروف ملائمة لتطور الاستشراق . فإن السكان كانوا يعرفون أهمية التجارة مع البلاد الشرقية ولا سيما مع جزر الهند الشرقية التي تدر عليهم أرباحاً طائلة ، كما كانوا يدركون فوائد معرفة اللغات الأجنبية في توطيد العلاقات الاقتصادية والسياسية .

وقد احتلت هولندة مكانة مرموقة في تاريخ أوربة بعد ثورتها على إسبانيا ، وإعلان استقلال جمهورية الولايات الهولندية المتحدة ، وازدهار تجارتها في القرنين السادس عشر والسابع عشر . وكان للهولنديين علاقات تجارية وسياسية وثيقة بالبلدان العربية من مراكش والجزائر وليبيا إلى سورية ، تدفعهم إلى تعلم اللغة العربية كما أنهم ، بعد استيلائهم على مراكز البرتغاليين في الهند الشرقية ، كان لا بد لهم من أن يدرسوا العقائد الإسلامية ليستطيعوا فهم نفسية المسلمين هناك الذين يؤلفون أكثرية السكان والذين يقصد الآلاف منهم مكة للحج كل سنة .

أضف الى ذلك أن حركة الإصلاح البروتستانتي التي اهتمت بدراسة الكتب المقدسة وتفسيرها كانت تتطلب العناية بالعبرية والعربية .

ويرجع الفضل في وضع الأساس المتين لدراسة اللغة العربية ليس في هولندة وحدها ، بل في اوربة كلها إلى المستشرق الهولندي (توماس أربنيوس Thomas Eprenius [١٥٨٤ - ١٦٢٤] الذي بدأ بدراسة اللاهوت في (ليدن) ، ولكنه تحول الى دراسة العربية بنصيحة من المستشرق الفرنسي (سكاليجر) . وقد انتقل لهذه الغاية إلى باريس في سنة ١٦٠٩ ، إذ لم يجد في هولندة وانكلترة الوسائل اللازمة للدراسة الصحيحة ، فاتصل هناك بالقيم على مكتبـــة الملك (اسحق قازوبونوس Isaac Casaubonus) [١٥٥٩ - ١٦١٤] الذي كان من أكبر علماء عصره ، فسمح له باستخدام الكتب والمخطوطات العربية والاطلاع على مذكراته اللغوية . ولكنه ، قبل كل شيء ، سنحت له الفرصة في باريس للاجتماع بأحد اليعاقبة المصريين واسمه (يوسف بن أبي ذقن Yoseph Barbatus Abudaonus) ومحادثته بالعربية . ثم التقى في ضواحي باريس بتاجر مراكشي اسمه (احمد بن قاسم الأندلسي) بحث معه في العقائد الإسلامية . وهو يقول ان محاوراته الطويلة مع هـــذا التاجر المسلم قد أقنعته بأنه ليس من السهل ، كما يتوهم بعضهم ، إقحام المسلمين واكتسابهم إلى العقيدة المسيحية .

وقد أدرك القائمون على جامعة (ليدن) ، التي تأسست في سنة (١٥٧٥) ، أهمية الدراسات العربية فقرروا انشاء كرسي خاص بها ، وعهدوا في سنة (١٦١٣) بهذا الكرسي الى (أربنيوس) الذي عرفوا نبوغه . وهو في المدة القصيرة التي قضاها في التدريس حتى وفاته سنة (١٦٢٤) قد برهن على كفاية كبيرة وترك أثراً عميقاً . وقد ألف كتاباً قيماً في قواعد اللغة العربية كما انه نشر كتاب « تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد إلى الدولة الأتابكية » تأليف الشيخ المكين (جرجس بن العميد) .

ومثلما أنشأ (أبرنيوس) بماله الخاص (مطبعة ليدن) التي اشتهرت بطبع المؤلفات العربية كذلك وقف مجموعة مخطوطاته العربية والعبرية على مكتبة جامعة (ليدن) . وقد أضاف اليها اثنان من تلاميذه المشهورين هما (غوليوس Golius) [١٥٩٦ – ١٦٦٧] و (وارنر Warner) [١٦٠٨ – ١٦٦٥] اللذان توليا التدريس بعده ، عدداً كبيراً من المخطوطات العربية الثمينة جمعاها من إسطنبول وسورية والمغرب الأقصى .

ثم برز بين المستشرقين الهولنديين (هادريان ريلاند H. Reland) أستاذ اللغات الشرقية في جامعة (أوترخت) ، فكان يهتم باللغة العربية في الدرجة الأولى قائلاً انها تساعد على تفسير الكتاب المقدس ، إلا أنه كان أيضاً قد أدرك بوضوح ضرورة العناية بالديانة الإسلامية وبتاريخ الشعوب الناطقة بالعربيه وحضارتها .

وبفضل جهود أمثال هؤلاء المستشرقين استطاعت هولندة أن تسبق الأمم الأوربية الأخرى في الدراسات الشرقية وتحتفظ بالزعامة في هذا الميدان مدة قرنين .

بداية الاستشراق في بريطانيا :

في بريطانيا أيضاً بدأت دراسة اللغة العربية قبل كل شيء لأسباب دينية ، فنرى أن (جون سلدن John selden) [١٥٨٤ – ١٦٥٤] لم ينشر في سنة ١٦٤٢ ذلك القسم من تاريخ (ابن البطريق) الذي يتعلق بنشأة كنيسة الاسكندرية الا لأنه يتعرض فيه إلى مراتب رجال الدين ودرجاتهم . وكان الجدال قد احتدم في تلك الفترة حول هذا الموضوع بالذات بين البروتستانت والكاثوليك .

كان القرار بمباشرة تدريس اللغة العربيـــة في جامعة (أكسفورد) سنة (١٦٣٦) إنما صدر استجابة لطلب الأسقف (لاند Land) . وكان

المستشرق (أدوارد بوكوك Ed. Pocock) [١٦٠٤ – ١٦٩١] أول أستاذ شغل هذا الكرسي وهو من رجال الكنيسة . وقد عني بنشر (تاريخ مختصر الدول) لابن العبري الذي يتضمن وجهة النظر المسيحية في التاريخ الإسلامي .

وقد برز من أسرة (بوكوك) في القرن الثامن عشر مستشرق آخر هو (ريتشارد بوكوك) فقام برحلة إلى الشرق الأدنى ، ونشر كتاباً عن مصر في سنة (١٧٤٣) ، ثم كتاباً آخر يتألف من جزءين عن فلسطين وسورية والعراق وقبرس وآسيا الصغرى واليونان (في سنة ١٧٤٥) .

كانت أنظار الإنكليز متجهة اذ ذاك إلى الهند . ولكن بعد فرض سيطرتهم عليها في أواخر القرن الثامن عشر أخذوا يفكرون في تأمين الطريق اليها ، وشمل اهتمامهم الشرق الأدنى أيضاً . وقد عني الإنكليز ببلاد العرب خاصة فبدأوا يدرسون اللغة العربية واللهجات المحلية ؛ ورحل علماؤهم إلى جزيرة العرب يجولون في أرجائها ويتحدثون إلى ملوكها وزعماء قبائلها ، ويبحثون في امكانياتها الاقتصادية والبشرية .

إن دراسات المستشرقين الانكليز كانت تتصف دوماً بالصبغة السياسية ، وقد دأب الاستعمار البريطاني على الاستعانة بهذه الدراسات في رسم خططه التوسعية .

بداية الاستشراق في روسيا :

وإذا انتقلنا الى روسيا نجد أنه كانت لها علاقات تجارية ودبلوماسية منذ القرنين الخامس عشر والسادس عشر مع الأتراك العثمانيين والفرس الصفويين ؛ إلا أن روسيا كانت هي نفسها متأخرة من الناحية العلمية خاصة فلم يظهر فيها أي مؤلف يبحث في البلاد الشرقية إلا في أوائل القرن السابع عشر . وأهم كتاب هو (السجل الروسي Russkü Khronograff)

يبحث في الأتراك والإسلام ويبدو أنه قد ألف من قبل رجال الحكومة بالاستناد إلى تقارير السفراء الروس وبالاقتباس من مصادر عربية ومن بعض الكتب الغربية .

وبعد توطيد الحكم القيصري المطلق في أواخر القرن السابع عشر اشتد النزاع مع الدولة العثمانية ومع ايران فازدادت الحاجة إلى الاطلاع على أحوال الشرق . وقد أسس (بطرس الأكبر) في سنة (١٧٠٢) أول معهد لتدريس اللغات الشرقية استدعى اليه أساتذة من البلاد الأجنبية . ثم أرسل في سنة (١٧١٦) خمسة موفدين التحقوا بالسفارة الروسية في (طهران) لدراسة اللغات العربية والفارسية والتركية . وفي سنة (١٧٢٤) أرسل بعثة مماثلة الى استانبول .

وفي أثناء الحروب الروسية ـ الفارسية سنة (١٧٢١ ـ ١٧٢٢) استولى الروس في مدينة (دربند) على كثير من المخطوطات الشرقية بين عربية وفارسية وتركية ومنغولية وأرمنية . فأمر (بطرس الأكبر) بجمع هذه المخطوطات مع غيرها من الوثائق والتحف في خزانة خاصة أصبحت نواة للمتحف الآسيوي الذي تأسس في سنة (١٨١٨) وألحق بالمجمع العلمي الروسي . وتعتبر مجموعة المخطوطات في هذا المتحف من أغنى المجموعات في العالم كله .

على أن الدراسات الشرقية في الجامعات الروسية لم تبدأ إلا في أوائل القرن التاسع عشر بعد صدور مرسوم في سنة (١٨٠٤) ينص على احداث كراسي للغات والآداب والديانات الشرقيه في جامعات (موسكو) و (قازان) و (خاركوف) و (بطرسبورغ) .

وفي سنة (١٨٢٣) أسس في (بطرسبورغ) معهد خاص تابع لوزارة الخارجية الروسية لتدريس اللغات الشرقية واعداد مستشرقين يعملون في السلك الخارجي . وفي سنة ١٨٥٤ أسس في (موسكو) معهد (لازاريف) للغاية ذاتها وفيه كرسي للغة العربية تعاقب عليه أساتذة من السوريين والمصريين .

وهكذا كان الاستشراق في روسيا خاضعاً في بادىء الأمر للأغراض السياسية . ثم تأثر بعـــد ذلك بالاعتبارات الدينية ولم يبرز في روسيا مستشرقون لهم مكانة علمية عالمية إلا في أواخر القرن التاسع عشر ...

عوامل تطور الاستشراق :

يتبين من استعراض بداية الاستشراق أن الأوربيين بدأوا يدرسون اللغات الشرقية لأهداف دينية :

١ ــ الرد على المسلمين ومجادلتهم .

٢ ــ التبشير بالمسيحية بين المسلمين واليهود والصينيين والهنود وغيرهم .

٣ ــ قراءة الكتب المقدسة بلغاتهـــا الأصلية والاستعانة بالعربية في تفسيرها وفهمها .

إن هذه الدوافع الدينية قد تضاءل شأنها مع تعاقب الأيام ، وكادت تزول في بعض العهود ، وصار الكثيرون من المستشرقين ينكرون أحياناً الانقياد اليهـــا ، وكثيراً ما يحاول آخرون إخفاءها . ولكن تأثيرها ما زال ظاهراً في معالجة الموضوعات الشرقية عامة . ويلاحظ أن عــدداً كبيراً من المستشرقين الأوربيين والأمريكيين قد بدأوا حياتهم العلمية بدراسة اللاهوت قبل الانتقال إلى الدراسات الشرقية ، وأن البعض من هؤلاء ظلوا يتولون وظائف دينية وتبشيرية ، وأن طائفة منهم ما زالت تتصف بالتعصب الشديد حتى في هذا العصر .

وعلى كل حال لم يكن الدافع الديني وحده كافياً لتقدم الدراسات الشرقية واتساعها . وفي الحقيقة لم يتطور الاستشراق إلا بتأثير الاستعمار ، ولأجل تحقيق أغراضه السياسية والاقتصادية . فقد رأت الدول الاستعمارية ان الدراسات الشرقية ، التي كانت قائمة من قبل لأهداف دينية ، يمكن الاستفادة منها في معرفة عقلية الشعوب الشرقية للسيطرة عليها واستثمارها .

لذلك نرى أول حاكم انكليزي عام للبنغــال (وارن هاستنغس Waren Hastings) يوجه بعض موظفي الشركة الإنكليزية للهند الشرقية في أواخر القرن الثامن عشر إلى دراسة لغات الهند وتاريخها وحضارتها ثم إلى تأسيس (الجمعية الآسيوية للبنغال) في سنة (١٧٨٤) ، وهي أول جمعية علمية للمستشرقين ، وذلك لأن الحاكم العام كان يريد إقامة السيطرة البريطانية في الهند على أساس متين من معرفة البلاد وإمكانيات استثمارها .

وعندما تأسست (الجمعية الآسيوية) في فرنسا سنة (١٨٢١) كتب القائمون عليها في نشرة الإعلان عنها أن غايتها هي ، قبل كل شيء : « جمع الوثائق الثمينة اللازمة للأعمال الدبلوماسية في الشرق الأدنى والمشاريع التجارية في آسيا كلها ، ثم جمع المعلومات عن الصناعات الهامة مثل النسيج والخزف (القاشاني) التي يسهل الاطلاع عليها في مؤلفات الشرقيين . » وإلى جانب هذه الأهداف السياسية والاقتصادية الاستعمارية لا تنسى الجمعية الإشارة إلى مطاليب المحافل الدينية ذات النفوذ الكبير في ذلك العهد فتصرح بأن الدراسات الشرقية التي سوف تعنى بها : « من شأنها أن تمهد السبيل للمبشرين وتفيدهم في نشر الديانة المسيحية . » ولم تتسع الدراسات العربية في فرنسا إلا بعد الاستيلاء على الجزائر . وإذا رأينا المستشرقين الفرنسيين يوجهون كل عنايتهم إلى قبائل البربر وعاداتها وتقاليدها فذلك لأن سياسة فرنسا الاستعمارية في المغرب العربي كانت تقوم على إثارة التفرقة والعداوة بين العرب والبربر .

وبعد أن وطد الاستعمار الغربي أقدامه في البلاد الشرقية تطورت مهمة الاستشراق وأصبحت تهدف في الدرجة الأولى ، إلى إشاعة « ايديولوجية » أي مثالية معينة بين المثقفين من السكان « الأصليين » ، وذلك باعتبار أن الشرق يختلف اختلافاً جوهرياً عن الغرب في أسلوب معيشته وطريقة تفكيره ، وأن أديانه وفلسفاته القديمة حقائق أبدية لا تخضع للتطور التاريخي !

ولما كانت العلاقة بين الاستعمار والاستشراق متشعبة ومتشابكة ومعقدة فلا بد لنا من التعرض إلى مسائل كثيرة عويصة : فيجدر بنـــا مثلاً أن نتابع تطور دراسات المستشرقين واختلاف الموضوعات التي كانت تسترعي انتباههم في شتى أدوار الاستعمار من دور الغزو والتوسع الى دور توطيد النفوذ الأوربي في الشرق ، ثم دور مقاومة الثورات القوميـــة التحررية . وينبغي أن نحصل على معلومات كافية عن المهمات التي كان يعهد بها إلى علماء الاستشراق ، إذ من المعروف أن كثيرين بين هؤلاء لم يكونوا أساتذة في الجامعات والمعاهد العلمية وأعضاء في البعثات الأثرية فحسب ، بل كانوا أيضاً مستشارين وموظفين وجواسيس في وزارات الخارجية ودوائر المستعمرات والاستخبارات ! ولا بد لنا من التساؤل : ما هي الأسباب التي تدفع المستشرقين عامة" إلى تركيز اهتمامهم على تاريخ الشعوب الشرقية في الماضي البعيد ، وإهمال تطور هذه الشعوب في العصور الحديثة ، والسكوت عن نهضاتها القومية وحركاتها التحررية الحاضرة ؟ ثم لماذا يبالغون في تمجيد الحضارات الشرقية القديمة ، ولكنهم يقتصرون على وصف العناصر البالية والميتة في هذه الحضارات دون الإشارة إلى عناصرها الصالحة للحياة والتي كان لها تأثير في تقدم الإنسانية ؟

إن أبحاث المستشرقين في النهضة العربية الحديثة قليلة جداً . وهي مختصرة وسطحية ، على العكس من دراساتهم عن تاريخ العرب القديم وعن التاريخ الإسلامي فإنها كثيرة لا تكاد تحصى ؛ وهي تتعرض إلى عدد كبير من المسائل ولكنها تحوم في الغالب حول الفتن الأهلية والخلافات المذهبية ومظاهر الانقسام والتفسخ . وهذه الدراسات قلما تعالج الحياة الاقتصادية والاجتماعية والحركات الشعبية وتطور الأنظمة السياسية . وانها تتمركز في المسائل اللغوية والنصوص الدينية وأخبار قصور الملوك والأمراء والحفريات الأثرية . ومن الغريب أن ترى المستشرقين يبذلون كل جهودهم للكشف عن العوامل الخارجية

والعناصر الغريبة التي كان لها بعض التأثير في نشأة الإسلام والحضارة العربية في حين أنهم يذكرون في اختصار أو بالأحرى يهملون كل الإهمال مظاهر التطور والتجديد والابتكار عند العرب . إن هؤلاء المستشرقين الذين يحاولون إرجاع الفلسفة والعلوم العربية إلى أصولها اليونانية يعودون من جهة ثانية ويتوسعون في بيان الفروق الجوهرية بين الشرق والغرب وينكرون على الشرقيين ، وبينهم العرب ، أن يكونوا قد بلغوا مستوى اليونان القدماء وبالتالي مستوى الأوربيين الحديثين في إدراك فكرة الإنسانية ومفهوم العلم وحقيقة الفن !

لا شك في أن هناك عوامل أخرى كان لها أيضاً تأثير في تقدم الدراسات الشرقية . مثال ذلك تقدم علم التاريخ في القرن التاسع عشر . فقد أدرك الباحثون أنه لا يمكن الكشف عن قوانين التطور التاريخي العام إلا بالطريقة المقارنة التي تفرض العناية بتاريخ الأمم الشرقية إلى جانب تاريخ الغرب . كذلك لا ننكر أن بعض المستشرقين قد اندفعوا إلى دراسة تاريخ العرب أو حضارة الصين بدافع من حب المعرفة والبحث عن الحقيقة . ولكن الجهود العلمية التي يبذلها أمثال هؤلاء الأفراد لا يمكن أن تبدل الاتجاه العام في حركة الاستشراق .

ومهما كان رأينا في نوايا المستشرقين فلا بد لنا من الاهتمام بأعمالهم . فنحن بحاجة الى اقتباس طرائقهم في البحث العلمي والنقد التاريخي . ولا يمكننا إدراك نقاط الضعف فينا وتكوين فكرة صحيحة عن أنفسنا إلا إذا عرفنا ما يقوله الآخرون عنا . ولا جدال في أن كل من يرغب في دراسة تاريخ العرب وحضارة الإسلام لا بد له ، في الوقت الحاضر ، من الرجوع الى أبحاث المستشرقين . فإن هؤلاء قد سبقونا وأخذوا منذ أوائل القرن التاسع عشر ينشرون أهم المصادر عن تاريخنا وحضارتنا مع بذل أعظم الجهود في تحقيقها تحقيقاً علمياً ووضع الفهارس الضرورية والشروح الوافية لها .

وقد أعيد طبع بعض هذه المصادر في البلاد العربية ، ولكن ، مع الأسف ، بصورة ناقصة ، مغلوطة ومشوهة ، في حين أن قسماً آخر هاماً لم نقدم على نشره حتى الآن . واذا كنا قد بدأنا في السنوات الأخيرة نتبع طريقة المستشرقين في إحياء تراثنا القديم فإننا ما زلنا عند دراسة تاريخنا مضطرين الى الاعتماد على الطبعات الأوربية لمصادر عربية أساسية مثل الطبقات الكبرى لابن سعد ، وفتوح البلدان للبلاذري ، وتاريخ الرسل والملوك للطبري ، وتجارب الأمم لمسكويه ، والآثار الباقيـــة عن القرون الخالية للبيروني ، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي ، ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للادريسي الخ .

كذلك سبقنا المستشرقون الى التنقيب عن آثار أجدادنا . وقد انتقل أكثر هذه الآثار ، ولا سيما النقوش الكتابية التي ظهرت في اليمن ، الى المتاحف الأوربية . أضف الى كل ذلك الدراسات التي قام بها المستشرقون بالاستناد الى الأخبار والوثائق والآثار التاريخية . ومن العسير جداً إحصاء المؤلفات التي نشرها المستشرقون منذ القرن السادس عشر حتى اليوم والتي تبحث في تاريخ العرب والإسلام من مختلف النواحي السياسية والدينية والفكرية والفنية . ولا بد من الاعتراف بأننا ما زلنا عالة على هؤلاء المستشرقين عند دراسة النقوش الكتابية في اليمن وتدمر والبتراء ، وعند معالجة الموضوعات المتعلقة بتاريخ العرب القديم على عهد الآشوريين والآراميين واليونانيين والرومان والبيزنطيين والتي تتطلب معرفة اللغات القديمة .

والآراء متضاربة بشأن أبحاث المستشرقين في سيرة الرسول (ﷺ) ، وفي الفتوحات العربية ، وحكم الأمويين والعباسيين ، والحروب الصليبية والحضارة الإسلامية ، والنهضة العربية الحديثة . إلا انه لا بد لنا ، على كل حال ، من الاطلاع على هذه الأبحاث سواء للاستفادة منها أو للرد عليها .

وقد كان من نتائج تطور الاستشراق واتساع موضوعاته أن شعر الباحثون بضرورة التخصص ، فنشأت فروع عديدة مثل الدراسات الإسلامية (Islamologie) والدراسات الهندية والصينية وغير ذلك . وكانت « الدراسات الإسلامية » مدار جدال مدة من الزمن فاعتقد بعضهم أن الاختصاص يجب أن يكون على أساس اللغة وأن تفصل لذلك الدراسات العربية عن التركية والفارسية بينما رأى آخرون أن الصلات الوثيقة بين الشعوب الإسلامية ووحدة حضارتها تقتضي الجمع بينها . ولم تكن المناقشة تجري من وجهة النظر العلمية ، بل بالنسبة الى حاجات الدول الغربية التي تعنى بالدراسات الشرقية وتبعاً لمصالحها الاقتصادية والسياسية .

ومهما كان الأمر فإن كلمة (استشراق) ما زالت شائعة يشمل مفهومها جميع هذه الدراسات ، لأنها في الواقع دراسات نشأت معاً وهي متشابكة بعضها ببعض ؛ وقد تطورت كلها مع التوسع الاستعماري ، وأصبحت اليوم تجابه المشاكل والصعوبات نفسها في مختلف البلدان التي هبت شعوبها للتحرر من سيطرة الغرب ونفوذه ، كما أن هناك مؤسسات عديدة تربط بينها من جمعيات ومجلات ومؤتمرات دولية .

إن الواجب يفرض علينا دراسة تاريخنا وحضارتنا بأنفسنا ومن وجهة نظرنا حتى نستطيع تصحيح أخطاء بعض المستشرقين ومغالطاتهم والرد على دسائسهم ومطاعنهم بالطريقة العلمية الانتقادية التي يتبعونها .

(للبحث صلة)

محمد كامل عياد